

حَیَّ بن یقظان  
لسهروردی

## مقدمة المؤلف<sup>(١)</sup>

### الرسالة الثالثة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وعترته الطاهرين - أما بعد فهني لنا رأيت قصة حَيِّ بن يقظان فصادفتها مع ما فيها من عجائب الكلمات الروحانية والإشارات العميقة معترية<sup>(٢)</sup> من تلويحات تشير إلى الطور الأعظم الذي هو الطامة الكبرى المحزون في الكتب الإلهية المستودع في الرموز المخفى في قصة حَيِّ بن يقظان فهو الذي يترتب عليه مقامات الصوفية وأصحاب المكاشفات وما أشير في رسالة حَيِّ بن يقظان إلا في آخر الكتابة حيث قال ولقد هاجر إليه أفراد من الناس إلى آخر الكتاب فأردت أن أذكر طوراً في قصة سميتها أنا قصة الغريبة العربية لبعض إخواننا الكرام وعليه أتوكل وبه أستعين.

سافرت مع أخى عاصم من ديار ما وراء النهر لنصيد طائفة من طيور ساحل لجة الخضراء فوقنا بغتة في قرية الظالم أهلها أعنى مدينة القيروان فلما أحس قومنا أننا قدمنا عليهم ونحن من أولاد الشيخ المشهور بهادى بن أبى الخير اليماني أحاطوا بنا وأخذونا وقيدونا بسلاسل وأغلال من حديد وحبسوننا في مقعر بئر لا نهاية نسلكتها وكان فوق البئر المظلة التي عمرت بحضورنا قصر مشيد عليها أبراج عالية فتيل لنا لا جناح عليكم إن صدتم القصر مجردين إذا أمسيتم أما عند الصباح فلا بد من الهوى في غيابت الجب كان في قعر البئر ظلمات بعضها فوق بعض إذ أخرج يده لم يكده يراها إلا أنا أوبة النساء نرتقى القصر مشرفين على الفضاء ناظرين من كوة فربما يأتينا حمامات من أيوك الأيمن مخبرات بحال الحمى وأحياناً تزورنا برق يمانية تومض من الجانب الأيمن الشرقى وتخبرنا بطوارق نجد تزيدنا بارتياح وجدا على وجد فنحن إلى الوطن ونشتاق فبينما نحن في الصعود ليلاً والهبوط نهاراً إذ رأينا الهدهد<sup>(٣)</sup> مسلماً في ليلة قمرء في منقاره كتاب صدر من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة وقال لى أنا أحظت بوجه خلاصكما وجئتكما من سبأ بنياً يقين وهو ذا مشروح في رقعة أبيكما فلما قرأنا الرقعة فإذا فيها مكتوب إنه من الهادى أبيكم وأنه بسم الله الرحمن الرحيم كما شوقناكم فلم تشتاقوا ودعوناكم فلم ترحلوا وأشرناكم فلم تفهموا وأشار في الرقعة إلى بأنك يا فلان إن أردت أن تتخلص مع أخيك فلا تنيا في عزم السفر واعتصم بحبلنا وهو جوهرة الفلك القدسي المستوى على نواحي الكسوف فإذا أتيت وادى النيل فانفض ذيلك وقر الحمد لله الذى أحياناً بعد ما أماننا وإليه النشور وأهلك<sup>(٤)</sup> أهلك واقتل امرأتك إنها كانت من الغابرين وامض حيث

(١) السهروردى.

(٢) يقعد عارية.

(٣) يريد بالهدهد النوحى والإنهاء. وبأبيكم الله تعالى ١٣٥

(٤) يريد بالأهل الغرائز والبواعث الجسمانية، ويريد بالمرأة النفس الإنسانية ودواعيها الشهوانية يقتلها بالتخلص من ميونها

تؤمر فإن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين فأركب في السفينة التي ﴿يَسْرَأَنَّكَ وَتُجَِئُهَا وَتَمْسُكُهَا﴾<sup>(١)</sup> في الرقعة جميع ما هو كائين في الطريق فتقدم الهدهد وصارت الشمس فوق رؤوسنا إذا وصلنا طرف الظل فركبنا في السفينة وهي تجرى بنا في موج كالجبال ونحن نروم الصعود على طور سينا حتى نرمق صومعة أبينا وحال بيني وبين ولدى الموج فكان من الغرقين وعرفت أن قومي موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب وعلمت أن القرية التي كانت تعمل الخبائث يجعل عاليها سافلها ويمطر عليها حجارة من سجيل منضود فلما وصلنا إلى موضع تتلاطم فيه الأمواج وتندرج فيه انياه أخذت ظئري التي أرضعتني فألقيتها في اليم فكنا نسير في جارية ذات ألواح ودسر وغرقنا السفينة مخافة ملك يأخذ كل سفينة غصبا والفلك المشحون قد مر بنا على مدينة يأجوج ومأجوج على الجانب الأيسر من الجودي كان معي من الجن من يعمل بين يدي وفي عين القطر فقلت للجن انفخوا حتى صار مثل النار فجعلته سداً حتى انفصلت منهم وتحقق وعد ربي حقاً ورأيت في الطريق جماجم عاد وثمود وطفت في تلك الديار وهي خاوية على عروشها وأخذت الثقيلين مع الأفلاك وجعلتها مع الجن في قارورة صنعتها أنا مستديرة عليها خطوط كأنها دوائر تقطعت إلا أنها من كبد السماء فلما انقطع الماء عن الرحا انهدم البنا وخلص الهواء إلى الهواء وألقيت الأفلاك على السموات حتى طحن الشمس والقمر والكواكب فتخلصت من أربعة عشر تابوتاً فألقيت سبيل الله فتيقظت إن هذا صراطي على مستقيماً وأختي قد أخذتها بياتا فباتت في قطع من الليل مظلم وبهاجن وكابوس يتطرق إلى صرع شديد ورأيت سراجاً فيها دهن ينتسج نورد وينتشر في أقطار البيت وشعل مساكنها من إشراقها نور الشمس عليهم فجعله في قم تدين ساكن في برج دولاب تحته بحر قلزم وفوقه كواكب ما عرف مطلع أشعتها إلا ياربها والراسخون في العلم ورأيت الأسد والثور قد غابا والقوس والسرطان قد طويا في طي تدور الفلك وبقي الميزان مسبقاً فإذا طلع النجم اليماني من وراء غيوم رقيقة متألقة مما نسجته عناكب زوايا العالم الصغرى عالم الكون والفساد وكان معنا غنم فتركانها في الصحراء فأهلكتهم في الزلازل ووقعت فيها نار صاعقة فلما انقطعت المسافة وانقرض الطريق وفار التنور من الشكل انخرطت فرأيت الأجرام العلوية واتصلت بها سمعت نعماتها ودستماناتها وتعلمت منها أشياء وأصواتها تفرع دسعى كأنها صوت سلسلة تجر على صخرة صماء وتكاد تنقطع أدباري وتنصرم مفاصلي من لذة ما انسل ولا يزال الأمر يتطور على حتى تقشع الغمام وتمزقت المشيمة وخرجت من المغارات والحوت قد انقض من الخيرات متوجها إلى عين الحياة فرأيت الصخرة العظيمة على قلة الطور العظيم فسألت عن الحيتان المجتمعمة وعن الحيوانات المتنعة المتلذذة بظل الشاهق العظيم إن هذا الطور ما هو

(١) سورة هود الآية ٤١

وما هذه الصخرة العظيمة فاتخذ واحدمن الحيتان سبيله فى البحر سرباً وقال ذلك ما كنا نبغى وهذا الجبل طور سينا والصخرة صومعة أبيك فقلت وما هؤلاء الحيتان فقالوا أشباهك أنتم من أب واحد وقد وقع لهم شبه واقعتك فهم إخوانك فلما سمعت وحققت عانقتهم وفرحت بهم وفرحوا بى فصعدنا إلى الجبل ورأيت أبانا شيخاً كبيراً يكاد السموات والأرضون تنشق من تجلى نوره فبقيت تايها متحيراً منه ومشيت إليه فسلم على فسجدت له ولذت أنمحق فى نوره الساطع فبكيت زمانا وشكوت إليه من حبس قيروان فقال لى نعم تخلصت إلا أنك لا بد راجع إلى السجن الغربى وأن القيد ما خلفته تماما فلما سمعت طار عقلى وتأوهت صارخا صارخ انشرف على الهلاك فتضرعت إليه فقال أما العود لك فضرورى الآن ولكننى أبشرك بشيئين أحدهما أنك إذا رجعت إلى الحبس يمكنك المجىء إلينا والصعود إلى جنبتنا حين متى شئت والثانى أنك متخلص من الآخر إلى جنبنا تاركاً للبلاد الغربية بأسرها مطلقاً فرحت بما قال أعلم أن هذا جبل طور سينا وفوق هذا جبل طور سينا مسكن والذى وحدك وما أنا بالإضافة إليه إلا مثلك بالإضافة إلى ولنا أجداد آخرون حتى ينتهى النسب العظيم إلى الذى هذا الجد الأعظم الذى لا جد له ولا أم وكلنا عبیده وبه نستعين ومنه نقتبس وله البهاء الأعظم والجلال الأرفع وهو فوق الفوق ونور النور وهو المتجلى لكل شىء بكل شىء وكل شىء هالك إلا وجهه فأنا فى هذه القصة إذ تغير على الحال وسقطت من الهوى إلى الهاوية بين قوم ليسوا بمؤمنين محبوباً فى ديار المغرب وبقى معى من اللذة ما لا أطيع أن أشرحه فانتحبت وابتهمت وتحسرت على المفارقة وتلك الراحة كانت أحلاماً زائلة على سرعة نجانا الله تعالى من قيد الهوى والطبيعة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعترته الطاهرين وهذه القصة تسمى الغربية الغربية.

« هذا آخر المخطوط »